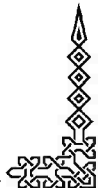


يستكمل هذا الفصل الحديث الذي بدأناه في الفصل السابق، وهو وصف تطور الرواية والقصة القصيرة من ثلاثينيات القرن العشرين حتى عام 1967م، حين حدث تغير في المزاج العام في العالم العربي الذي انعكس على معظم الكتابات العربية الروائية والقصصية. ومثل جميع التقسيمات فإن نقطة الفصل بين ما سميته «مرحلة التطور» و«مرحلة النضج» هي نقطة اعتباطية، وقد تكون أكثر اعتباطاً في حالة الشعر العربي الحديث، الذي يمكن تقسيمه بوضوح إلى ثلاثة أساليب مختلفة إن لم يكن ثلاث مراحل مختلفة. والواضح، أنه بين وقت وآخر تظهر أعمال فردية أو مؤلفون يكونون علامة على تحول في المواقف المعاصرة، أو يقودون إلى مرحلة جديدة من التطور. فرواية محمد حسين هيكل «زينب» التي نوقشت في الفصل السابق نُظر إليها عالمياً تقريباً على أنها علامة فارقة، على الرغم من أن إجمالاً أقل ربما يوجد بين النقاد لعمل مماثل من بدايات ثلاثينيات القرن العشرين، وهناك بعض الشك في أنه ظهر تطور رئيس في التقنية الروائية المصرية والعربية خلال تلك الحقبة، ويبدولي أن هذا التطور يتضح في نشر جزأي رواية توفيق الحكيم الرئيسة «عودة الروح»، عام 1933م، ساءبأ بهذا العمل.

على الرغم من أن شهرة توفيق الحكيم المستمرة تعود بلا شك إلى مسرحياته أكثر منها إلى رواياته، لكنه يبدولي في الحقيقة، بدءاً برواية «عودة الروح»، أنها تحتل مكاناً مماثلاً في الأهمية لتطور الأدب العربي الحديث عمومًا. بدأ الحكيم بالفرنسية خلال مدة دراسته في باريس من عام 1925م إلى عام 1928م⁽¹⁾، وكتبت «عودة الروح» على مثال تجارب المؤلف في القاهرة

خلال الحرب العالمية الأولى، وهي بذلك سارت في اتجاه السيرة الذاتية الذي كان منتشرًا في التطور المبكر للرواية العربية الحديثة، كما لاحظنا في الفصل السابق. والعمل في جوهره يصف حياة الحب المحبط لعائلة مصرية من الطبقة الوسطى لتلك الحقبة، ويتصاعد في عام 1919م مع الثورة المصرية الجماهيرية التي قادها سعد زغلول، والتي تمثل للحكيم «عودة الروح» عنوان العمل. ويعاني العمل عددًا من الأخطاء من الناحية البنائية، من ضمنها الميل إلى الاستطراد المشت الذي يشكل كثيرًا من أعمال الحكيم؛ وأجزاء طويلة من الجزء الثاني مكرسة لمناقشة طبيعة الفلاح المصري الذي يُعده الحكيم منحدرًا مباشرة من بناء الأهرامات، وإن وصف ثورة 1919م في الصفحات الأخيرة للرواية أدخل دون ترتيب إلى بقية العمل. وأكدت نهاية الرواية سمعتها بوصفها عملاً وطنيًا؛ كونها نالت استحسان الرئيس المصري عبدالناصر من بين أعمال أخرى. وكون العمل يمثل الروح الجديدة للوطنية المصرية، فإنه استمر في ملامسة وتر حساس في قلوب المصريين حتى هذا اليوم⁽²⁾، ولكن العمل يمكن قراءته على مستويات عدة: صورة لحياة مصر المعاصرة، وبوصفه رواية للحب المراهق، ومثالاً لموضوع مقارنة «المدينة والريف» الذي كان قد بدأ بالظهور في الأدب العربي، أو بوصفه مساهمة في التعبير عن التفسير «الفرعوني» لدور مصر في العالم، الذي أعطي زخمًا باكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام 1922م.

كتب توفيق الحكيم بعد «عودة الروح» ثلاث روايات⁽³⁾ أدى فيها عنصر السيرة الذاتية دورًا واضحًا. وأولى هذه الروايات هي رواية «يوميات نائب في الأرياف» التي نشرت عام 1937م، وهي أيضًا الأكثر نجاحًا لأسباب عدة، ليس أقلها أن المؤلف تجنب تمامًا ميله إلى النقاش «الفلسفي» المطول، الذي لَوَّن





الوحدة الفنية لمعظم أعماله. وتأخذ الرواية من تجارب المؤلف بوصفه نائباً في منطقة الدلتا المصرية، وتبرز صورة سيئة للظروف المعيشية في الريف، والنظام القانوني المبني على قوانين نابولونية. وهناك هوة شاسعة بين افتراضات وعقلية السارد القادم من المدينة، الذي أوكلت إليه مهمة تطبيق هذه القوانين، وبين الفلاحين الذين سيطبق عليهم هذا القانون، وهي هوة تذكر بتقسيم «المدينة مقابل الريف» في القصة القصيرة المهمة للكاتب لاشين «في القرية» التي ناقشناها في الفصل السابق⁽⁴⁾.

والتركيبة المحددة من النقد الجاد والاجتماعي والأسلوب الأدبي المتمكن في «يوميات نائب في الأرياف» نادرًا ما تجاوزها عمل أدبي في الأدب العربي الحديث. ولسوء الحظ، فإن أي توجه لوضع تقليد قوي من النقد الاجتماعي سريعًا ما كذب برواية الحكيم اللاحقة «عصفور من الشرق» (1938م) التي على الرغم من أنها نشرت بعد «يوميات نائب في الأرياف» ولكنها تنهل من حقبة سابقة في حياة المؤلف. ويستكشف العمل الصراع بين الشرق والغرب - وهو موضوع ظهر منذ عام 1834 - 1835م في كتاب الطهطاوي «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» من خلال تجارب محسن، وهو طالب مصري في باريس، ويبدو واضحًا أنه رسم على شخصية الحكيم. ويتفاعل العمل على مستويين: على المستوى العملي، من خلال حظ محسن السيئ في علاقة الحب مع الفتاة الفرنسية سوزي، وعلى المستوى الجدلي من خلال نقاشاته مع المهاجر الروسي إيفان. وكان التفسير الدقيق لمضامين هذه النقاشات موضوعًا لجدل كبير، ولكن أيًا كان التفسير، فإن العمل له أهمية كبيرة، على الرغم من أخطائه الفنية، ويقدم مثالاً على «الشرق مقابل الغرب» الذي شكل تقليدًا أدبيًا في الأدب العربي الحديث عبر كثير من مراحل



تطوره. وأكملت رواية «الرباط المقدس» (1945م) سلسلة الروايات المبنية على حياته، راسمة صورة «لبرج عاجي» فكري، والرواية تتلون بتشويه استبطاني يحاذي الانعكاس الذاتي، وربما من المريح أن المؤلف هجر كتابة الرواية، ما عدا «حمار الحكيم»، وكرس طاقته الفنية الرئيسة للمسرح.

ينتمي إلى هذه المرحلة من تطور الرواية المصرية مجهودات محمود طاهر لاشين الذي سبق ذكره في الفصل السابق، وتبحث روايته الوحيدة «حواء بلا آدم» (1934م) موضوع صراع الطبقات، وبحث المرأة المتحررة عن أشكال جديدة من العلاقات مع الرجال. فشل حواء في حل الصراع في حياتها الخاصة بين الثقافة التقليدية والأفكار الأكثر تطوراً، التي بدأت تتسرب إلى العالم العربي لا تؤدي فقط إلى انتحارها في النهاية، ولكن من الواضح أيضاً أنها تعكس تشاؤم المؤلف من تطور التوجه العام. وبدا أن لاشين بعد «حواء بلا آدم» قد هجر تقريباً نشاطه الأدبي ما عدا مجموعة قصصية كتبها بعنوان «النقاب الطائر» (1940م)، ولم ينشر أي شيء بعد ذلك حتى وفاته عام 1954م. وشخصية أدبية متميزة أخرى هي «عباس محمود العقاد» (1889م-1964م)، وهو أحد الرجال الأدباء المصريين البارزين في النصف الأول من القرن العشرين، وتتحدث روايته الوحيدة «سارة» (1938م) مرة أخرى حول علاقة حب غير مكتملة⁽⁵⁾. ويعاب على الرواية التحليل المفرط والتعبير التجريدي، والرواية من وجهة نظر أدبية حالية لها أهمية تاريخية، ولكن نشرها مهم بوصفه علامة على المدى الذي جذب فيه الشكل الروائي اهتمام الرواد الأدباء في ذلك الوقت، وتؤكد الاتجاه الغالب للسيرة الذاتية في كتابة الرواية في ذلك الوقت.

وفي نهاية ثلاثينيات القرن العشرين وبدايات الأربعينيات بدأت الرواية



المصرية تأخذ مكاناً جديداً، (ويظهر ذلك في تأسيس سلسلة جديدة من المسابقات في كتابة الرواية في عام 1941م)، وتتسم باتجاهات عدة. ولد الكتاب الرواد من الجيل القديم مثل توفيق الحكيم وطه حسين والعقاد والمازني في مدد متقاربة من بعضهم في نهاية القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من بعض الاختلافات في النظرة العامة والحدة، ولكنهم يتشاركون في مواقف عدة. وتولدت هذه السمات المشتركة بلا شك من تجارب شبابهم خلال المدة ما بين تمرد عرابي عام (1881 - 1882م) وثورة زغلول عام 1919م، والجيل الثاني أقل تجانساً عن الجيل السابق له من الكتاب، أخذ كتاب الجيل الثاني موضوعاتهم من فساد السياسة المصرية مدة الحرب بدلاً من تقاؤل ثورة 1919م، وبدأ إنتاج أعمال تتسم بواقعية جديدة. وفي مفارقة، كان هذا الاتجاه مترافقاً بحماس مع الموضوعات التاريخية في محيط فرعوني أو جاهلي أو في حقبة صدر الإسلام.

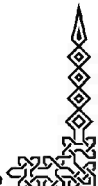
ومن ضمن الكتاب الذين يمكن ذكرهم في هذا السياق عادل كامل (1916 - 1900م) ولويس عوض (1915 - 1990م). وتمثل روايتا عادل كامل، محامي ممارس، الاتجاهين اللذين ذكرناهما. فازت روايته الأولى «ملك من شعاع»، المأخوذة من حياة الفرعون إخناتون، بجائزة كتابة الرواية التي نظمتها أكاديمية فؤاد الأول عام 1942م. أما روايته الثانية «مليم الأكبر»، وبعكس الأولى، حاولت استكشاف البنية الطبقيّة للمجتمع المصري المعاصر من خلال حياة شابين من خلفيتين اجتماعيتين مختلفتين، ولكن النتيجة لم تكن مقنعة، وربما ليس مستغرباً أن العمل لم يُفَزَّ بجائزة في مسابقة عام 1944م. من الواضح أن المؤلف أصيب بخيبة أمل مثل لاشين؛ لعدم نجاح روايته، وترك الاهتمامات الأدبية مكرساً نفسه للقانون⁽⁶⁾. أما لويس عوض، وهو معاصر قريب من عادل كامل، ويشترك معه في الخلفية النصرانية،



فقد أصدر رواية واحدة طويلة «العنقاء» أو «طريقة حسن مفتاح» كتب جزءاً منها في القاهرة 1946 - 1947م، وجزءاً في باريس، وهي بحق رواية ثورية، وتستكشف البنى الطبقية والنشاط السياسي من خلال عين الماركسي حسن مفتاح. ووصفت الرواية بأنها «علامة في الأدب العربي الحديث، وبأنها من أكثر الروايات عنفاً في التعبير بين الروايات الصادرة من مصر»⁽⁷⁾، ولأسباب واضحة لم تنشر في مصر حتى عام 1952م بعد ثورة الضباط الأحرار، ولكنها تستحق أن تعرف على نطاق أوسع؛ كونها أحد الأمثلة القليلة للأدب المعاصر والتوجه العام المتفجر للبلد في الحقبة بين الحرب العالمية الثانية واستيلاء الضباط الأحرار على السلطة عام 1952م. وعلى الرغم من أنه لم يكتب روايات طويلة أخرى، لكن مساهمته في الحياة الأدبية المصرية، التي تمتد أكثر من نصف قرن، كانت رئيسة بكل المقاييس، ومن ضمن إسهاماته ديوان من الشعر الحر الطليعي «بلوتولاند وقصائد أخرى» (1947م)، وأيضاً سيرة ذاتية مكتوبة باللهجة المصرية المحكية «مذكرات طالب بعثة» (1965م)، إضافة إلى عدد كبير من الأعمال النقدية المحاربة للتقاليد غالباً، وترجمات لأعمال شكسبير وت.س. إليوت وآخرين.

«القارئ الشعبي» والرواية الرومانسية

ربما يكون من المستحسن أن نعطي تحذيراً عند هذه المرحلة. إذا كان النقاش السابق يشير إلى أن هذه الحقبة كانت ممتعة من ناحية الإنتاج الأدبي التجريبي، وهذا بحد ذاته حقيقة، فالقارئ العادي، سواء في مصر أو في أي مكان آخر، كان في الغالب يقرأ في معظم الحقب التي ذكرناها، إن لم تكن الترجمات، فمن المحتمل القصص القصيرة والروايات من النوع «الشعبي» أو «الرومانسي». وهذا النوع من الروايات والقصص القصيرة، التي لأسباب





مثيرة للشك، مع أنها واضحة، أخذت اهتماماً بسيطاً من النقاد، لها مقابل في السياق الغربي، في بعض المستويات على الأقل، وهي تمثل بشكل كبير استمراراً لتقليد الترجمات والاقتباس من الأعمال الأوروبية المرغوبة التي بدأت في القرن التاسع عشر.

ومثال رائع للتداخل بين هذين المسارين، وأيضاً للتحويلات والانعطافات التي أخذها الإرث الأدبي المصري بشكل عام، تمثله أعمال إحسان عبد القدوس (1919 - 1990م) ابن فاطمة اليوسف المعروفة بروزاليوسف (ولدت 1895م) التي عملت في الأساس ممثلة مع عزيز عيد وجورج أبيض⁽⁸⁾ قبل أن تهجر المسرح، وتؤسس عام 1925م المجلة السياسية الساخرة «روزاليوسف»، وهذه المجلة نشرت إضافة إلى موضوعاتها الخفيفة، مساهمات مؤلفين لامعين مثل المازني والعقاد ومحمود تيمور، ثم تولى إدارتها ابنها إحسان عبد القدوس عام 1945م، وأممت عام 1960م، واستمرت في الصدور حتى الآن. وبالنسبة لإحسان عبد القدوس فإنه بعد أن أصبح يدير المجلة بدأ يغير اهتماماً متزايداً للروايات الرومانسية المرغوبة والقصص القصيرة، التي كتب منها عشرات المجلدات. ومن بين أهداف هذه الأعمال الأدبية والاجتماعية المعلنة الرغبة في تحطيم المحرمات التي يمكن طرحها في الأدب العربي، وتبدو بعض كتاباته مصوغة بوضوح لإثارة نقاش عن موضوعات حقوق المرأة في المجتمع المصري المعاصر. وتميل كتاباته أحياناً إلى العاطفة، ولكن هذا لم يمنع كتبه من الحصول على شعبية كبيرة؛ وجد استفتاء نظمته الجامعة الأمريكية في القاهرة عام 1954م أنه «أكثر الكتاب الأحياء شعبية في اللغة العربية⁽⁹⁾»، وما زالت كتبه تحظى بشعبية كبيرة بين القراء، ليس فقط في مصر، ولكن في جميع أنحاء العالم العربي، كما أنها توفر مادة جاهزة لصناعة الأفلام



المصرية. ومن الكتاب الآخرين الذين يمكن تصنيف أعمالهم بشكل مماثل لأعمال إحسان عبد القدوس محمد عبد الحليم عبد الله (1913 - 1970م)⁽¹⁰⁾ الذي تجمع أعماله بين الاهتمام الرومانسي والكتابة الاجتماعية، والكاتب غزير الإنتاج. يوسف السباعي (1917 - 1978م) الذي تقلد عددًا من الوظائف المهمة بما فيها منصب وزير الثقافة، وفي الوقت نفسه نشر عشرين مجموعة قصصية، وست عشرة رواية، وأيضًا مقالات ومسرحيات عدة⁽¹¹⁾. وعلى الرغم، مع بعض الاستثناءات، من أن هؤلاء الكتاب لم يحصلوا على اهتمام نقدي كبير في الكتابات المعيارية للأدب العربي الحديث، لكن أعمالهم استمرت في أخذ نصيب كبير من اهتمام القارئ العربي العادي، وهناك جدل قائم بأحقيتهم في دراسة أكبر.

الرواية خارج مصر

على الرغم من استمرار سيطرة الكتاب المصريين على الإنتاج القصصي العربي، ولكنه في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين ظهر اهتمام متزايد مهم تجاه الشكل الروائي في أنحاء العالم العربي خاصة في لبنان وسوريا والعراق. وبغض النظر عن الدور الحيوي الذي أدته سوريا ولبنان في نهضة القرن التاسع عشر، لكن النشاط الأدبي في هذين البلدين يبدو أنه عانى شيئًا من الخفوت خلال العقود الأولى من القرن العشرين. وليست واضحة تمامًا أسباب هذا الخفوت، على الرغم من أن هجرة عدد كبير من أشهر المثقفين إلى مصر والأمريكتين كان بلا شك أحد الأسباب. وعلى أي حال، لم تظهر رواية لبنانية ذات جودة وممتعة يمكن مقارنتها بإنتاج ثلاثينيات القرن العشرين في مصر التي سبق الحديث عنها إلا عام 1939م. وشهدت أوائل ثلاثينيات القرن بداية انتعاش النشاط الثقافي والأدبي خاصة



في بيروت، وبدأت مجموعة باسم «الأصابع العشرة» بضخ الحياة إلى أماكن المدينة الثقافية المعروفة، مدفوعة بأمثلة شعراء المهجر وغيرهم. ومن الذين كانوا يرتبطون بقوة مع هذه المجموعة توفيق يوسف عواد الذي كان قد عرف بعد نشره مجموعتين قصصيتين «الصبى الأعرج» (1937م)، و«قميص الصوف» (1937م)، وحين ظهرت روايته «الرغيف» (1939م) ميزته بوضوح بوصفه مؤلفاً ذا موهبة كبيرة. ومن الواضح أن العمل تأثر بالقومية العربية المعاصرة، فالعمل يتحدث عن زمن ثورة 1916م ضد الأتراك، ولكن مثل بعض الروايات المصرية التاريخية المذكورة سابقاً، لا يخفي الزمن التاريخي الروائي علاقته بزمن عواد، ولعل هذا القرب إضافة إلى ميزة العمل الأدبية كانا السبب في شعبيته. ولسوء الحظ، يبدو أن عواد، الذي عمل مدة من حياته دبلوماسياً، كان يفتقر إلى الإخلاص العميق لشكل الرواية الذي نجده عند نجيب محفوظ على سبيل المثال، ولم ينجح في اقتناص التوجه السائد مرة أخرى إلا عام 1972م في رواية «طواحن بيروت»، وهي وصف تصويري لمجتمع بيروت المتفكك إبّان يونيو 1967م، حيث حقبة الحرب العربية - الإسرائيلية وانفجار الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975م⁽¹²⁾.

ومن بين الكتاب الآخرين الذين اشتهروا في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته في لبنان، وارتبط كثير منهم بمجموعة «الأصابع العشرة» أو بالمجموعة التي جاءت بعد «الأصابع العشرة» بمدة بسيطة «النادي اللبناني» (1946م - 1966م)، حيث نجد الروائي وكاتب القصة القصيرة خليل تقي الدين (1906م - 1987م) والشاعر سعيد عقل (1912م)⁽¹³⁾ والناقد والروائي مارون عبود (1886م - 1962م) الذي أهله إنتاجه الضخم لأكثر من خمسين كتاباً ليكون أحد أكثر الأشخاص تأثيراً في الحياة الفكرية والثقافية اللبنانية

في وقته. وتحظى دراسته عن الشعر اللبناني العامي «الزجل» التي بعنوان «الشعر العامي» (1968م) بأهمية خاصة. وينتمى إلى هذه البيئة الفكرية التي جعلت بيروت تحتل دور العاصمة الثقافية (وأيضاً المالية) للشرق الأوسط في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الثانية، سهيل إدريس، الذي يذكر دائماً مرتبطاً بالمجلة «الملتزمة» الأدب - وهي واحدة من دور نشر عدة، ومجلات أُسست في بيروت في تلك الحقبة. وإضافة إلى دوره بوصفه ناشراً فإنه أسهم أيضاً في مجال الرواية والقصة القصيرة، خاصة روايته المشهورة «الحي اللاتيني» (1954م). وهذه الرواية تقف في خط مستقيم منحدر من أعمال مماثلة لأعمال طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهما⁽¹⁴⁾ عن موضوع الصراع الثقافي الذي يعيشه «الطالب العربي في أوروبا». ثم أتبع هذه الرواية بروايتين «الخدق الغميق» (1958م) و«أعصابي أنا التي تحترق» (1962م)، وكلا العاملين، وهما في جزء منهما سيرة ذاتية مثل الحي اللاتيني لم يصل أي منهما إلى الشهرة المستحقة للعمل الأول.

ونموذج آخر مماثل للتطور الذي رأيناه في مصر - من الترجمات المبكرة، التقليد والتجربة، ومن خلال الرواية التاريخية إلى الرواية الناضجة بالأسلوب الغربي - يمكن أن نرى ذلك أيضاً في سوريا، حيث نجد أن الأعمال الرائدة لفرانسيس مرعش (1836 - 1873م) الذي أثر أسلوبه النثري الشعري على جبران خليل جبران، تبعتها الروايات التاريخية لمعروف أحمد الأرناؤوط (1892 - 1948م) التي نشرت بين الأعوام (1929م و1942م)، وجمعت الروايات الأربع لاحقاً، وأعيد نشرها تحت عنوان «الملحمة الكبرى». ولجهود شكيب الجابري (1912 - 1996م) أهمية عظيمة في تطور شكل الرواية عموماً. وينظر إليه على أنه مؤسس الرواية السورية الحديثة، وتقع أحداث



روايته الأولى «نهم» (1937م) في ألمانيا، ومثل كثير من الأعمال التي سبق أن ناقشناها في هذا الفصل، تعتمد بشكل كبير على تجربة المؤلف في أثناء حياته خارج وطنه شابًا. واستكملت رواياته اللاحقة «قدر يلهو» (1939م)، و«قوس قزح» (1946م) والأخيرة «وداعًا يا أفامية» (1960م) هذه الفكرة العامة، وكل رواية تهتم بجانب مختلف من التوتر بين «الشرق» و«الغرب» على المستوى الشخصي وعلى المستوى الوطني أكثر، ولكنه يبدو أنه لم يحصل أي منها على مكانة «نهم» بوصفها علامة مميزة في تطور الأدب الروائي السوري الحديث.

ورأت نهاية ثلاثينيات القرن الماضي في العراق أيضًا خطوات رئيسة في تأسيس تقليد روائي مع إصدار رواية «الدكتور إبراهيم» لذي النون أيوب (1908م - 1988م). والرواية ترسم صورة واضحة لشاب عراقي محظوظ يعود إلى وطنه بعد مدة من التعليم في بريطانيا. وهدف المؤلف، مثل هدف يحيى حقي في «قتديل أم هاشم» كان واضحًا، إذ يظهر تأثير التعرض «للحضارة» الغربية، ولكن العمل يفتقر تقريبًا إلى حدة ذهن رواية حقي التي ناقشناها سابقًا. وكتب المؤلف رواية أخرى هي «اليد والأرض والماء» (1948م) يصف فيها النزاع بين الفلاحين وملوك الأراضي، ولكن معظم إنتاجه الأدبي أخذ شكل القصة القصيرة بدلًا من الرواية الطويلة، وكثير من قصصه نشر في صحيفة الموصل التي كان يحررها من عام 1938 إلى 1944م.

وفي شمال إفريقيا شهدت الحقبة نفسها أيضًا ظهور الكاتب التونسي محمود المسعدي (1911 - 2005م)، ويمثل عمله الممتد «السد» - أحيانًا يصنف على أنه مسرحية - مساهمة فريدة، إن لم تكن ذات خصوصية قليلًا، لهذا الفن⁽¹⁵⁾. وشهدت هذه الحقبة ظهور عدد من كتاب شمال إفريقيا الآخرين، منهم علي الدعيجي (1909 - 1949م)، ويعرف أحيانًا باسم

«أبو القصة القصيرة التونسية»، الذي فجر عمله «جولة بين حانات البحر المتوسط» (1935م) أرضاً جديدة بأسلوب واضح وحيوي ممتع (على الرغم من أن عنوانها يضعها في تقليد مؤسس جاهز). وشهدت ثلاثينيات القرن نمو النشاط الأدبي مع صدور الدورية الأدبية «العالم الأدبي»، وظهور التجمع الأدبي الذي يجتمع في مقهى «تحت السور»، وكان لعلي الدعيجي علاقات قوية مع الناشطين. وبغض النظر عن هذه التطورات والمقابل لها في المغرب والجزائر، بقي صحيحاً بشكل عام أن تطور الأدب الراقي باللغة العربية في المغرب - مع الاستثناء البارز للشاعر التونسي الشابي⁽¹⁶⁾ - يسير خلف العالم العربي الشرقي لمعظم النصف الأول من القرن العشرين، وغالباً (وليس تماماً) بسبب سيطرة الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية. وكما لاحظنا، عمومًا لم تأخذ الكتابة باللغة العربية اهتمامًا كبيرًا إلا بعد الاتجاه إلى الاستقلال عن الفرنسية في خمسينيات القرن العشرين، وبدأت دول المغرب تدلي بمساهمة متميزة في تطور الأدب العربي عامة.

نجيب محفوظ

وكما رأينا، أن عادل كامل بدأ عمله الروائي القصير بالرواية التاريخية قبل أن يتحول إلى موضوع له علاقة مباشرة بالعصر، فالنموذج نفسه نراه في مسيرة «عبد الحميد السحار» (1913 - 1974م) التي أعقبت روايته الأولى الفرعونية «أحمس بطل الاستقلال» (1943م) روايتان: «في قافلة الزمن» (1947م) و«الشارع الجديد» (1952م). وكلا العاملين يصفان حياة عائلات مصرية من خلال أجيال عدة⁽¹⁷⁾. وربما الأكثر أهمية، أعمال نجيب محفوظ الأولى (1911 - 2006م)، وهو أحد أكثر المؤلفين المصريين إنتاجًا، وقد يكون أيضًا الأشهر من بين كتاب الخيال الأدبي العربي على المستوى الدولي، بعد

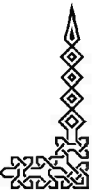


فوزه بجائزة نوبل للأدب عام 1988م. ولد في حي قديم بالقاهرة، ودرس الفلسفة في جامعة القاهرة، وترك الدراسة العليا في التخصص نفسه مع نمو اهتمامه بالأدب، وهذا التحول في جزء منه من تأثير سلامة موسى. وتكون إنتاجه الأول من مجموعة قصصية، واستمر في كتابة القصص القصيرة طوال حياته، ولكن شهرته قامت بشكل رئيس على رواياته التي نشر منها ما يفوق الثلاثين رواية. ومسيرته العملية هي مثال تصويري للمقولة المكررة بأن قلة، إن وجد أحد، من الكتاب في العالم العربي الحديث قادر على الحياة من دخل الكتابة فقط. وفي عام 1939م انضم إلى الخدمة المدنية الحكومية، ومنذ ذلك الوقت حتى تقاعده في أوائل سبعينيات القرن العشرين قسم طاقاته بين الكتابة الإبداعية والخدمة الحكومية المكتبية، عمل بعض الوقت في وزارة الأوقاف، ومنذ عام 1954م عمل في وزارة الثقافة، فقد اشتغل بالتحديد في قطاع السينما، ومن هناك أخذ أعمالاً من كتاب مثل إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وآخرين موضوعات لأفلام. ولأعمال محفوظ أهمية ليس فقط لأحقيتها ولكن أيضاً، مثلها مثل أعمال توفيق الحكيم في قطاع المسرح؛ لأنها خدمت بوصفها نوعاً من البارومتر لقياس تغير الأذواق والأولويات في الحياة بشكل عام.

إنتاج نجيب محفوظ الهائل من الروايات الطويلة يعود إلى تنظيمه الشخصي واهتمامه بالتفاصيل الدقيقة لوقت عمله. وروايته الأولى «عبث الأقدار» (1939م)، وهي رواية تاريخية يعود الفضل فيها إلى رواية أبي حديد «ابنة المملوك»⁽¹⁹⁾، وربما ليست لها قيمة كبيرة بحد ذاتها باستثناء أنها تبشر بأعمال قادمة: ثم أصدر روايتين عن مصر القديمة، رادوبيس (1943م) و«كفاح طيبة» (1944م)، والأخيرة جذبت بشكل خاص اهتماماً نقدياً كبيراً،

وأكدت أن مصر أنجبت روائيًا له مستقبل وذا موهبة غير عادية. وعلى الرغم من أنه خطط في الأساس لكتابة سلسلة من الروايات التاريخية، ولكنه سرعان، مثل عادل كامل وعبد الحميد السحر، ما دار اهتمامه إلى مصر المعاصرة، وظهرت سلسلة من الأعمال تدور في أحياء مختلفة من القاهرة، التي تستكشف قيمًا جديدة في مجتمع متغير في مصر المعاصرة. تمتلئ هذه الروايات بسكان مختلفين في الشوارع الخلفية للقاهرة، وتشمل هذه الروايات «القاهرة الجديدة» (1945م)، و«خان الخليلي» (1946م) و«زقاق المدق» (1947م)، و«السراب» (1948م) و«بداية ونهاية» (1949م). ووصلت هذه السلسلة من الروايات أوجها في «الثلاثية»⁽²⁰⁾ المشهورة التي أخذت جائزة الدولة للأدب عام 1957م، والتي بنيت عليها أولاً وبشكل كبير شهرة محفوظ الدولية. كتب العمل في الأصل قبل ثورة 1952م، ولكنه لم ينشر إلا في (1956 - 1957م). تتحدث الرواية عن يوميات حياة ثلاثة أجيال من عائلة مصرية من الطبقة الوسطى الأقل، والتحول من حياة تقليدية إلى أسلوب حياة أكثر عصرية في الحقبة ما بين الحربين العالميتين. وكما هي الحال مع الروايات السابقة، الفكرة البارزة هي البحث عن معنى وثوابت خلقية، ولكن نجد تلميحًا عن حقبة اضطراب مصر على وشك البدء فيها في نهاية الجزء الأخير من الرواية، عندما يذهب كل واحد من الأخوين أحمد وعبد المنعم في طريقه، أحدهما إلى الجناح اليساري لحزب الوفد والآخر إلى الإخوان المسلمين.

بعد ثورة 1952م عانى محفوظ كارثة، جزء منها كان شخصيًا والجزء الآخر، بلا شك، كان بسبب الثورة ذاتها، فمنعه ذلك من الكتابة مدة خمس سنوات. وكان هناك انتظار متشوق لعمله الرئيس الذي نشر أولاً على أجزاء في جريدة الأهرام عام 1959م، وهي رواية «أولاد حارتنا». وهذا العمل لم





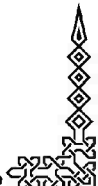
يكن استمراراً للأسلوب الواقعي للثلاثية، وبشر العمل بتحول جذري في خط محفوظ الكتابي، وعكس هذا العمل هموماً معاصرة، وألح إلى هموم الجيل المقبل من الكتاب. والعمل، أيضاً أكثر أعمال محفوظ إثارة للجدل، في جوهره هو عمل رمزي ممتد، ويجمع المؤلف فيه قصص خطأ آدم وشخصيات موسى وعيسى ومحمد - عليهم السلام -، ويجوس في موضوعات ذات علاقة بالبحث عن العدالة الاجتماعية ووجود الله ودور الدين في العالم الحديث⁽²¹⁾. وأثار العمل احتجاج رجال الدين المحافظين الذين قاموا بمقارنة بسيطة بين شخصية الجبلاوي والذات الإلهية، ومنع العمل في مصر، ولكنه نشر على هيئة كتاب في بيروت عام 1967م، وعاد النقاش على الفكرة الجدلية لهذا العمل عام 1988م حين أزر محفوظ علنيًا المؤلف سلمان رشدي بعد نشره روايته آيات شيطانية، وأيضاً في تسعينيات القرن العشرين حين هوجم الكاتب، وجرح في الشارع من قبل مسلمين متشددين.

قدم رد فعل المحافظين تجاه رواية «أولاد حارتنا» ل محفوظ تذكيراً مفيداً بمدى حرية التعبير في مصر المعاصرة، ولا يمكن الحكم على هذا العمل بأنه ناجح بالمقاييس الأدبية، ومن ثمّ فليس بمستغرب أننا لا نجد استكمالاً مباشراً له. وبدلاً من ذلك نجد أن محفوظ بعد خيبة أمله في نظام الضباط الأحرار التي كانت واضحة لبعض الوقت، باشر كتابة سلسلة من الروايات بدءاً بـ «اللس والكلاب» (1961م)، وبلغت ذروتها في «ميرمان» (1967م)، ويمكن رؤية هذه السلسلة على أنها سلسلة متزايدة من الرفض، موجهة إلى الطريقة التي يقود بها النظام الدولة. وتشترك هذه الروايات في وجود مزيج واضح من النقد الاجتماعي المتواري مع عناصر هموم أوسع غيبية ووجودية موجودة في الشكل الأدبي مقابلة لسرد توفيق الحكيم عن فقدانه



إيمانه بالسلطة الذي نشر تحت عنوان «عودة الوعي» عام 1974م. وأمتع سلسلة الروايات هذه، من وجهة نظري، هي الأولى رواية «اللص والكلاب» (1961م)، والأخيرة «ميرامار» (1967م) و«ثرثرة فوق النيل» (1966م)⁽²²⁾. والرواية الأولى، اللص والكلاب، تحكي قصة خيانة عاطفية وفكرية، وتدور حول المجرم سعيد، وهو حرامي أطلق سراحه حديثاً من السجن، فبحث عن معنى لحياته عبر الانتقام، من خيانة زوجته مع صديقه الأقرب، ورابطه الوحيد مع القيم الإنسانية نراه من خلال واحدة من بنات الليل طيبة القلب، ولكن الرواية تنتهي بوابل من الرصاص، ويقتل سعيد برصاص البوليس في المقبرة. وفي «ثرثرة فوق النيل» يزداد الإحساس العميق بالانعزال الذي كان واضحاً في اللص والكلاب، وفي هذه الرواية ينتقل المؤلف إلى مجموعة اجتماعية مختلفة، تدور أحداث الرواية في عوامة على النيل، وهو مكان صمم بوضوح للحد من بعد العمل المكاني، في حين يسمح بمساحة غير منتهية من النقاش الحاد، وتدور الرواية حول مجموعة من مثقفي القاهرة الذين يجتمعون على ظهر القارب؛ للاستمتاع بالمخدرات والجنس. والمزاج العام الذي تلمح به الرواية هو العجز، وعدم القدرة على التأثير على الأحداث، وتغري الرواية، كما فعل عدد من النقاد على النظر إليها على أنها تنبؤ بنكسة 1967م- ولكن أيّ ما كانت جاذبية هذا التفسير على أي مستوى، لكن العمل له علاقة أعمق بوضع الإنسان بشكل عام. وبالتأكيد، جدلياً، فإن القدرة على الجمع بين اهتمامات عالمية مع اهتمام محلي، هو الذي يسم أعمالاً معينة لمحفوظ، ويميزه عن معاصريه، ويبرر حصوله على جائزة نوبل للأدب عام 1988م.

تنتمي روايات محفوظ الأخيرة لهذه المجموعة، وأهمية رواية «ميرامار»





(1967م) لا تتبع من كونها استكمالاً لنقد المؤلف لمسيرة مصر الثورية، ولكن لجوانبها البنائية. وبالنسبة إلى المحتوى فإن الرواية تمثل هجوماً واضحاً وغير عادي على اتحاد العرب الاجتماعي الذي يظهر بشكل خاص في شخصية الانتهازي سرحان البحيري، أما بالنسبة إلى الناحية البنائية، فالرواية تستخدم أسلوباً تجريبياً يقوم فيه المؤلف بوصف مجموعة واحدة من الأحداث من خلال أعين أربع شخصيات - وهو أسلوب معروف في الرواية الأوروبية، ولكنه كان نادراً في الكتابات العربية سابقاً - على الرغم من استخدام فتحي غانم له في روايته «الرجل الذي فقد عقله» (1962م)⁽²³⁾.

ويفترض من الحديث السابق عن مسيرة عمل محفوظ المبكرة والمتوسطة أن يعطينا على الأقل بعض المعرفة عن تطور عمله الأدبي حتى عام 1967م. وبعبارة أخرى من الكتاب الآخرين فإن روايات محفوظ تبدو أنها تتحرك عبر عدد من المراحل الحذرة: من بداياته بوصفه كاتب روايات تاريخية، ثم انتقال عمله إلى مرحلة الواقعية الاجتماعية، حتى يصل إلى ذروته في الثلاثية، ثم تبعها بسلسلة من الأعمال التي كانت فيها الاهتمامات الدينية، والفلسفية، والغيبية المتداخلة مع تعبير عن الإحباط إن لم يكن الاشمئزاز من مسيرة المجتمع المصري بعد الثورة. ومن اللافت للنظر ربما، توقف نجيب محفوظ عن الكتابة تماماً، كما لاحظنا سابقاً سنوات عدة بعد ثورة 1952م. وعانى الصمت الإجباري الذاتي مدة بعد حرب الأيام الستة عام 1967م، ولم ينشر أي شيء حتى عام 1972م، مع نشر المجموعة القصصية «المرايا» عن شخصيات مصرية مصغرة مرتبة، بغرابة، أبجدياً، بعد ذلك نشر عدداً من الروايات من بينها، على سبيل المثال، أعمال مثل ملحمة «الحرافيش» (1976م)، و«رحلة ابن فطومة» (1982م)، ولكنه على الرغم من أهمية هذه

الأعمال بوصفها تصويرًا لبعض الهموم البنائية والموضوعية للجيل الناشئ
ليس أقلها عودته إلى الإرث العربي «الكلاسيكي» بوصفه مصدرًا للإلهام)،
فإن معظم كتاباته في المرحلة اللاحقة تُظهر إحساسًا خفيًا بكاتب «متعب»
فقد قدرته على الإبهار.

الواقعية الاجتماعية

بدأ يظهر في تلك الأثناء جيل جديد من الكتاب الذين كانت لهم بصمة
مميزة في النثر المصري في أعقاب ثورة 1952م بإصدارات اتسمت بواقعية مميزة
في شعار جديد «التزام» وهو شعار استخدم ربما أول مرة نحو عام 1950م ترجمة
لكلمة engagement التي استخدمها جان بول سارتر Jean-Paul Sartre - والتي
تسربت سريعًا إلى معظم أنحاء العالم العربي. ودفع بها إلى الواجهة الروائي
اللبناني وكاتب القصة القصيرة سهيل إدريس، ظهر أول عدد من دوريته
«الأدب» في يناير 1953م، والمعنى الضمني الدقيق للمصطلح الذي عانق
النظرية الأدبية والقومية العربية في أنواع من التراكم بناء على استخدام
الكاتب له، ونوقش بحماس في سلسلة من المقالات في الأدب ودوريات أخرى،
واتضحت سريعًا في هذه النقاشات «فجوة بين الأجيال» أصبحت واضحة،
تبنى الكتاب من الجيل الأقدم مثل طه حسين وعباس محمود العقاد عمومًا
موقفًا يناهز «بالفن من أجل الفن» في مقابل الكتاب والنقاد «الملتزمين» من
الجيل الأصغر.

جاذبية المفهوم السارتريني «الالتزام» بالنسبة إلى الكتاب العرب في هذه
الحقبة يعود، شبه مؤكد، إلى الوضع السياسي الذي وجدت مصر نفسها فيه،
والبلاد العربية عمومًا، في نهاية الحرب العالمية الثانية. وألقت كارثة الحرب





الفلسطينية عام 1948م التي أدت إلى قيام إسرائيل ظللاً على الحياة الفكرية العربية، ولكن هذه الظلال ارتفعت إلى حد ما مع الروح الجديدة من التفاؤل والأمل بالمستقبل، التي تبعت ثورة الضباط الأحرار عام 1952م. ومن شبه المؤكد أن أفضل تجسيد للحالة العامة نجده في رواية «الأرض» (1954م) للروائي المصري «عبدالرحمن الشرقاوي» (1920 - 1987م) التي وصفها روبن أوستل Robin Ostle، ولا أعرف على ماذا اعتمد «أفضل عمل عربي روائي حديث معروف داخل الشرق الأدنى والأوسط وخارجه»⁽²⁴⁾ (والعمل في الحقيقة معروف لمعظم العرب عبر فيلم يوسف شاهين المنتشر أكثر من الكتاب ذاته). وتقع أحداث الرواية في بدايات ثلاثينيات القرن العشرين خلال حكم الديكتاتور إسماعيل صدقي، وتصف الرواية سلسلة من النزاعات بين سكان قرية على الدلتا مضطهدين والسلطة، أحد النزاعات عن محاولة لإبعاد الفلاحين عن المياه التي يحتاجون إليها للري، في حين هناك نزاع آخر عن طريق خطة إقطاعي محلي لشق طريق عبر أراضي الفلاحين. ومن خلال الرواية، يعطينا المؤلف صورة عن عدد من «أنواع» سكان القرية - مدرس المدرسة والتاجر الصغير، والعمدة والإمام... إلخ - وتزداد واقعية الوصف باستخدام اللهجة العامية المصرية الحيوية للحوار. وللرواية أهمية من وجهة نظر بنائية، فهي مقسمة إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول والثالث؟ يرويها طالب عائد من القاهرة إلى الريف؛ لقضاء الإجازة الصيفية، وفي المقابل، يعود الجزء الرئيس الثالث؟ إلى سارد خارجي أكثر تحفظاً، إضافة إلى أن للعمل أهميته؛ لاستخدامه المقارنة التاريخية - لوجود المقابلة في الأعمال المتقدمة والمتأخرة⁽²⁵⁾ - للتعليق على التطورات السياسية والاجتماعية المعاصرة، فعلى الرغم من أن الشرقاوي كان يكتب ظاهرياً عن أحداث في ثلاثينيات القرن العشرين، كان أيضاً في الوقت نفسه يعبر من خوف مكبوت

من مسيرة التطورات تحت حكم الضباط الأحرار. وكما لاحظنا، فإن هذا الأسلوب يمثل عادة طريقة واضحة، ولكن فعالة في تجنب انتباه الرقيب ليس فقط في مصر، ولكن في العالم العربي ككل.

ولسوء الحظ، وعلى الرغم من استمرار الشرقاوي في كتابة ثلاث روايات «قلوب خالية» 1957م، والشوارع الخفية، 1958م، والفلاح 1967م، فإنه لم يستطع أن يكرر نجاح روايته «الأرض» في التقاط الحقبة القصيرة للتفاؤل التي أعقبت ثورة الضباط الأحرار عام 1952م، وبدأ بعد مدة أن هذه الروايات تحولت إلى مجرد دعاية. وأمتع هذه الروايات الثلاث هي بلا شك رواية «الفلاح»، وتقع أحداثها - بعكس سابقتها، بعد الثورة، ويبدو فيها تبخر تفاؤل «الأرض» للأبد⁽²⁶⁾ ويعكس تطور موقف الشرقاوي كما سنرى في الفصل المقبل، في هذه الناحية، مواقف جيل كامل من الكتاب.

ولم يكن الاتجاه نحو «الواقعية» و«الالتزام» خلال هذه الحقبة خاصًا بالرواية أو مصر فقط، فقد امتد تأثيره بشكل أو بآخر إلى النثر والشعر والمسرح عبر البلاد العربية، وحلت محل «الرومانسية» بوصفها صيحة لتلك الحقبة، وكانت فكرة لا يمكن لأي كاتب أن يتجاهلها في خمسينيات القرن العشرين وستينياته، بغض النظر عن تحفظهم، وحتى كتاب من الجيل القديم مثل توفيق الحكيم ويحيى حقي ومحمود تيمور شعروا بواجبهم نحو التفكير في «الروح الجديدة للعصر» في أعمالهم. في تلك الأثناء، كان يتحرك للمقدمة جيل جديد من الكتاب، من مصر وأماكن أخرى، الذين لم يكونوا يشاركون الجيل السابق توقعاتهم، وتعكس أعمالهم واقعًا معاصرًا بطريقة أكثر مباشرة، ومن بين الكتاب المصريين البارزين لهذا الجيل المسرحي وكاتب القصة القصيرة يوسف إدريس (1927 - 1991م) الذي في الأصل تدرب



طبيبًا، وكانت أول مجموعة قصصية له «أرخص ليالي» (1954م) نجاحًا مباشرًا - وتتميز المجموعة بنظرة المؤلف الفاحصة للتصرفات الإنسانية ونقاط الضعف عبر قطاع اجتماعي واسع واهتمامه الواضح بموضوعات قصصه، وبالأهمية نفسها في سياق النقاش الدائر عن مزايا استخدام اللغة العامية في الخطاب المكتوب، وذلك بسبب ما يبدو أنه فريد، وحيوي بشكل نادر، المزج بين «العربية الفصحى» و«العامية» المصرية. وصدر سريعًا بعد «أرخص ليالي»، أربع مجموعات قصصية إضافة إلى عدد من المسرحيات⁽²⁷⁾ وروايتين: «قصة حب» (1956م) و«الحرام» (1959م)⁽²⁸⁾ وسرعان ما أسس المؤلف بحق شهرة بأنه أحد الكتاب الرواد في العالم العربي.

ومن بين الكتاب المصريين الذين حصلوا على اهتمام في وقت مقارب ليوسف إدريس نذكر الكاتبة النسائية لطيفة الزيات (1923 - 1996م) التي رددت روايتها «الباب المفتوح» (1960م) إلى حد ما تفاؤل رواية «الأرض» للشرقاوي. وتركز الرواية على قضية تحرير المرأة، وتربط القصة بمهارة بين حكاية فتاة تصل إلى النضج مع البحث عن الاستقلال الوطني. ونشرت الزيات بعد ذلك عددًا من القصص القصيرة، وكثير منها كان مهتمًا بالقضايا النسائية، ونشرت رواية ثانية بعنوان «صاحب البيت» (1994م)، وسيرة ذاتية في جزء من رواية «حملة تفتيش: أوراق شخصية» (1992م).

وهناك روائي آخر ينتمي للجيل نفسه تُظهر أعماله بوضوح المنهج الملتزم بالقيم الأدبية، وهو الكاتب فتحي غانم (1924 - 1999م) الذي حرر بعض الوقت مجلة «روز اليوسف» التي ذكرناها سابقًا. وتدور أحداث روايته الأولى «الجيل» (1959م) في أعالي مصر، وتتناول جانبًا آخر من الصراع بين التراث والحداثة، وفي هذه المرة في سياق إعادة إسكان فلاحى جورنا، وعلى

الرغم من أن الرواية، من وجهة نظر أدبية ليست ناجحة تماماً⁽²⁹⁾، ولكنها مثيرة للاهتمام لموضوعها العام، وأيضاً لاستخدام المؤلف اللهجة المحلية في حوار الرواية. والرواية الأنجح والمعروفة للقراء المتحدثين بالإنجليزية عبر ترجمة ديزموند ستيوارت Desmond Stewart لها⁽³⁰⁾ هي «رباعية» الرجل الذي فقد ظله» (1960م)، وتغطي الحقبة بين (1922م) إلى (1956م)، وهي مساهمة مهمة في تطور أسلوب السرد في أدب الخيال النثري الحديث، التي استخدم أسلوبها السردى المتعدد وجهات النظر لاحقاً نجيب محفوظ في روايته «ميرامار» (1967م). بعد ذلك نشر فتحي غانم عدداً من الروايات منها «قليل من الحب كثير من العنف» (1985م) التي كان موضوعها سياسة «الباب المفتوح» لمصر المعاصرة، تردد لبعض من أطلق عليهم اسم «جيل الستينيات»⁽³¹⁾، وربما يمكن القول: إن كتابات فتحي غانم في هذه الحقبة خفتت بفعل أعمال الكتاب الأصغر. وتعاود الظهور منطقة أعالي مصر التي ظهرت في رواية فتحي غانم «الجبل» في كثير من كتابات يحيى الطاهر عبد الله (1938 - 1981م)، وهو نفسه كان سارد المنطقة. بدأ عبد الله الكتابة عام 1961م، ونشر خمس مجموعات قصصية، وثلاث روايات في حياته⁽³²⁾، وأضاف إلى تأثير كتاباته، التي تدين ببعض الفضل للتراث الشفهي الشعبي، الكثير بسبب عاداته في قراءة أعماله في مقاهي القاهرة.

على الرغم من سيطرة نجيب محفوظ على هذه الحقبة، تحت الدراسة، لكن هذه المرحلة شهدت نشاط مناطق أخرى من العالم العربي، التي كان معظمها متلكئاً خلف مصر بالنسبة إلى الكتابة الروائية والقصصية، وبدأت تحتسب لإنتاجها الكبير المنشور من الروايات والقصص القصيرة العربية، خاصة أنه في هذه المرحلة بدأت الكتابة العربية الروائية والقصصية في شمال





إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) بالوصول إلى معيار واحتلال أهمية تقارن بتلك التي للمشرق مع تخلص دول إفريقيا من السيطرة الفرنسية، وبدأت اللغة العربية في أخذ أهمية أكبر بالنسبة إلى الفرنسية في الحياة الثقافية في المنطقة. وفي تلك الأثناء، وفي الجزء الشرقي من العالم العربي، لبنان، وسوريا، والعراق - جميعها شهدت نشر مساهمات مهمة في تطور الرواية العربية قبل الحرب العالمية الثانية - ورأت استمرارًا لهذا التقليد، كما رأت الحقبة نفسها ظهور جيل جديد أول مرة من الكتاب الفلسطينيين الذين كتبوا في سياق ما بعد حرب 1948م وقيام إسرائيل. والمساحة هنا تمنعنا من التوسع، وتسمح لنا فقط بالحديث عن التطورات الرئيسة، وعن الكتاب الأهم خلال هذه الحقبة. في سوريا ولبنان يبرز روائيَان بوصفهما كاتبين أسهما في تطور النثر الروائي خلال هذه الحقبة: السوري - اللبناني حليم بركات (1936 - 1999م) ⁽³³⁾، والسوري حنا مينا (1924م) وعلى الرغم من أن عمل الرجلين يختلف كثيرًا في بعض الأوجه عن بعضهما، ويعكس خلفيتهما المختلفة وعملهما، لكن كليهما يمثل اتجاهات عامة في تطور الرواية العربية والقصة القصيرة خلال خمسينيات القرن العشرين وستينياته. ولد حليم بركات في سوريا، وتربى في لبنان، وقدم مساهمات مهمة في قطاع دراسات الشرق الأوسط بوصفه عالمًا سياسيًا واجتماعيًا، التي تذهب بعيدًا وراء الأدب الروائي، ولكن رواياته وقصصه القصيرة تعكس مواقفه في أعماله غير الخيالية في الاتجاه العربي القومي واهتمامها بالقضايا المعاصرة، خاصة المتعلقة بالفلسطينيين. ومن بين الروايات الست أو نحو هذا العدد التي نشرها حتى الآن تتميز روايتان بشكل خاص «ستة أيام» (1961م) و«عودة الطائر إلى البحر» (1969م) وكلاهما تتعلقان بالصراع الخاص بالقضية الفلسطينية.



وعلى الرغم من العنوان «المنبئ» لرواية حليم بركات «ستة أيام»، فإنها لا تعني حرب الأيام الستة عام 1967م، ولكنها تتحدث عن قتال 1948م، وبالتحديد عن جهود سكان دير البحر لمقاومة الحصار الإسرائيلي لبلدتهم. ولا يمكن اعتبار الرواية ناضجة تمامًا من وجهة النظر الأدبية؛ لأنه على الرغم من محاولة المؤلف الجزئية «للدخول إلى عقلية» الفلاحين التي يرسمها، ولكنه لم يستطع مقاومة إغراء إدخال تعليقات طويلة خاصة به. والرواية الأخرى التي سنذكرها «عودة الطائر إلى البحر»⁽³⁴⁾ تتحدث عن أحداث حرب 1967م، وحصلت على تهليل نقدي أكبر تستحقه، وجريئة من الناحية البنائية، ويقدم الكتاب صورة واضحة لأحداث تلك الأيام القليلة التي بالنسبة للعرب أدت ليس فقط إلى انهزام عسكري مؤكد أيضًا، لكثير منهم، ظهر أخيرًا كذب الحكومات العربية المعنية، حيث سقطت مناوراتهم لوسائل الإعلام، ونقتبس كلام روجر ألين مرة أخرى Roger Allen «يبرز عمل حليم بركات بوصفه أحد أكثر الكتابات تأثيرًا عن انهيار 1967م ومضامينه سوف يبقى معلمًا للخيال العربي المكتوب خلال هذا القرن»⁽³⁵⁾.

ومقارنة بالمفكر بركات، فإن حنا مينا ينتمي إلى الطبقة العاملة الحقيقية. ولد في اللاذقية على الساحل السوري - وهي بيئة تفسر طغيان ذكر البحر على كثير من أعماله - ووجد حنا أعمالًا في وظائف عدة خلال مراحل حياته المبكرة، فإضافة إلى الصحافة وهو عمل كثيرًا ما كان مصاحبًا للإبداع في العالم العربي الحديث، عمل بعض الوقت حمالًا في الميناء، وحلاقًا، وسجن بعض الوقت بسبب أنشطته السياسية. وتقع أعمال حنا مينا الأولى، الذي يمكن وصفه أحد الروائيين السوريين الرواد، (وربما أعظمهم) في خانة «الواقعية الاجتماعية»؛ لأنها اتسمت بموقف «الالتزام»





نفسه الذي اتسمت به أعمال الكاتب المصري عبدالرحمن الشرقاوي. وهو كاتب غزير الإنتاج، وروايته الأولى «المصاييح الزرق» (1954م) تأخذ فكرتها الرئيسية من الصراع ضد الإمبريالية الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، ولكنها تصطبغ (مثل كثير من الأعمال «الملتزمة» لذلك الوقت) بفشل في دمج رسالة الكاتب السياسية إلى السرد بشكل مقنع. ويظهر أسلوب المؤلف نضجًا متزايدًا مع مرور الوقت: وروايته الثانية «الشراع والعاصفة» (1966م) كثيرًا ما يناقشها النقاد على خلفية رواية همنجواي «العجوز والبحر»، وهي تكمّل موضوع الصراع في الرواية الأولى، مع تأكيد متزايد على صراع الطبقات. وأعماله اللاحقة التي أظهرت تطورًا أكثر، ونضجًا في الأسلوب تشمل رواية ذات سيرة ذاتية، «بقايا سوار» (1974م) ⁽³⁶⁾.

وفي الحقبة نفسها التي شهدت الإصدارات الأولى لحليم بركات، وشهدت أيضًا بداية ظاهرة واضحة التفرد للبنان في العالم العربي الحديث، ظهور مجموعة من النساء الكاتبات اللاتي لم تكن أعمالهن مكتوبة من زاوية «نسوية» متميزة، ولكن أيضًا لها بعض الحق في أن تُعدَّ «مجموعة ثانوية» داخل الثقافة الأدبية الوطنية لذلك الوقت. سيطرت الحرب الأهلية اللبنانية (1975م-1990م) على كتابتهن، وسنوّج الحديث عن «مراكز بيروت»، كما أسمتهن ميريام كوك Miriam Cooke إلى الفصل المقبل، أما الآن فيكفي أن نعرف أن بين النساء الكاتبات اللاتي اشتهرن في هذه الحقبة إميلي نصر الله، التي كانت روايتها الأولى «طيور أيلول» (1962م) في جزء منها سيرة ذاتية، وتحدث عن قدر النساء اللاتي يردن طريق الاستقلال في العالم الحديث وكوليت خوري وليلى بعلبكي، وأعمالهن جلبت لهن إزعاجًا (وفي حالة بعلبكي السجن) لكسرهن الحدود المقبولة للكاتب - وبخاصة المرأة الكاتبة - للنشر

في ذلك الوقت. ورواية كوليت خوري «أيام معه» (1958) تتحدث عن علاقة حب بين امرأة شابة ورجل أكبر منها سنًا، يسود اعتقاد بأنه الشاعر السوري نزار قباني⁽³⁷⁾، وهو موضوع نجد له ترددًا في رواية بعلبكي «الآلهة المسوكة» (1960م)، وأشهر أعمال ليلي بعلبكي هي روايتها الأولى «أنا أحياء» (1958م)، التي تتحدث عن مكانة النساء في العائلة، وأيضًا وبالتحديد قصتها القصيرة «سفينة حنان إلى القمر» (1964م)، التي اعتقلت بسببها؛ لتناولها على الأخلاق العامة⁽³⁸⁾.

وفي العراق أيضًا ظهر عدد من كتاب النثر المميزين خلال هذه الحقبة، وأشهرهم هو غائب طعمة فرمان (1927م-1990م) وإسماعيل فهد إسماعيل وفؤاد التكرلي. وترسم مسيرة غائب فرمان جيدًا الحياة القلقة التي يعانيتها المثقفون العرب، ليس فقط العراقيون وليس فقط اليساريون، لأسباب سياسية ترغمهم على مثل هذه الحياة في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الثانية: ولد فرمان في بغداد، ودرس في لبنان ومصر قبل أن يعود إلى بغداد بعد ثورة 1958م، وعمل معظم حياته مترجمًا في موسكو، وإنتاجه الأدبي الأول كان قصصًا قصيرة «حاسد الراحة» 1954م، ومولد آخر 1960م، ثم أتبعها بنحو ثماني روايات طويلة نشرها بين الأعوام 1966م و1989م، التي أشهرها «خمسة أصوات» (1967م)، وتحلل وضع المجتمع العراقي في الحقبة التي قادت إلى ثورة 1958م، كما يراها خمس شخصيات مختلفة ينتمون إلى المجتمع البغدادي البرجوازي. والرواية ممتعة ليس فقط من وجهة نظر تقنياتها، ولكن أيضًا لنهايتها التي تصف سعيد، وهو أحد الشخصيات الرئيسة، وهو يودّع والده قبل سفره خارج الوطن، وهو وضع سيجد صدى له، ليس فقط مع مؤلف الرواية خاصة، بل مع معظم المفكرين العرب لذلك الوقت. وتنتهي إلى الحقبة نفسها الأعمال المبكرة لفؤاد التكريتي، وتمثل روايته القصيرة «الوجه





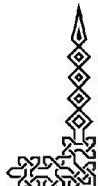
الآخر» (1960م)⁽⁴⁰⁾ صورة حياة للبائسة لموظف بسيط ينوء كاهله بالديون، ومعظم اهتمام المؤلف، كما هي الحال في أعماله الأخرى، يُعنى بتعقيدات ونفسية العلاقات بين الرجل والمرأة في مجتمع عراقي تقليدي⁽⁴¹⁾. وهو مؤلف ناجح ودقيق، ونشر عددًا قليلًا نسبيًا مقارنة بكثير من معاصريه، وتستحق أعمال التكريتي أن تعرف بشكل أفضل ليس فقط في الغرب، ولكن في الأجزاء الأخرى من العالم العربي، ولكن هناك شيئًا واحدًا يحد من انتشاره، وهو استخدامه المتكرر، مثل غائب طعمة فرمن، لهجة العراقية العامية في الحوار في كثير من أعماله.

والانشغال بالمسألة الفلسطينية التي كانت واضحة في أعمال حلیم بركات خلال هذه الحقبة بدأت أيضًا تنعكس على أعمال جيل من الكتاب الفلسطينيين الذين كانت القضية الفلسطينية لهم، بمعناها الحرفي، مشكلتهم. وأشهر هذه المجموعة الجديدة من الكتاب الفلسطينيين وأكثرهم موهبة هو بلا شك غسان كنفاني (1936 - 1972م) الذي جمع عمله بين الكاتب المبدع والناشط السياسي، ودفع الثمن غاليًا حين اغتيل في انفجار سيارة، ومن شبه المؤكد أنها كانت بفعل عملاء إسرائيليين عام 1972م. ولد كنفاني في مدينة عكا، ومر بتجربة الغربة المباشرة مثل الفلسطينيين حين أبعد مع عائلته عام 1948م إلى لبنان أولاً ثم إلى سوريا، حيث درس الأدب العربي في جامعة دمشق، ثم عمل صحفيًا في الكويت قبل أن يعود إلى بيروت عام 1960م، وهناك تابع نشاطه الصحفي، إضافة إلى عمله متحدًا رسميًا لجبهة التحرير الفلسطينية (PFLP) ومحررًا لجريدها الرسمية «الهدف».

وليس مستغربًا الانعكاس المباشر لتجارب كنفاني على أعماله التي تضم روايات ومجموعات وقصصًا قصيرة ومسرحيات، ونقدًا أدبيًا. وعَبَّرَ

مباشرة عن تجربته الشخصية وانتشال عائلته من جذورها في كتاباته، وعبر عنها بتأثر ووضوح في قصته القصيرة «أرض البرتقال الحزين» التي يصف فيها خروج عائلته من منزلهم في عكا عبر الحدود إلى لبنان بعد قيام إسرائيل عام 1948م. ويتميز كنفاني عن المؤلفين الفلسطينيين الآخرين من جيله بإنسانيته، وبغض النظر عن علاقته القوية بالسياسات الفلسطينية، فهو أصر دائماً على أنه روائي أولاً وسياسي ثانياً، وأشار كثير من النقاد إلى وصفه المتعاطف ليهود إسرائيل على المستوى الفردي. على سبيل المثال، اللاجئون اليهود المسنون «عائد إلى حيفا» (1969م)، نرى تصويراً متعاطفاً، وأظهرت القليل من البريوجندا النمطية الموجودة في كثير من الأعمال الفلسطينية الأخرى لتلك الحقبة.

مر أسلوب واستشراف كنفاني بما يمكن أن نصفه تقريباً بعملية مستمرة من التطور خلال مسيرته، كما تعكس كتاباته الروائية والقصصية التحول في حياته السياسية نحو توجه ماركسي متشدد، في حين بقي فنياً مغامراً ومبتكراً حتى النهاية. وأنجح رواياته السبع (بقي ثلاث منها لم تُنهِ حتى وفاته) هي بلا شك، الأولى «رجال في الشمس» (1963م)⁽⁴²⁾ و«ما تبقى لكم» (1966)⁽⁴³⁾. الأولى منها - قصة عن «تهريب البشر»، وتصل ذروتها في الموت اختناقاً لمجموعة من الفلسطينيين في مخزن وقود على الحدود الكويتية - العراقية، وتظل من أقوى التعبيرات في كل الأدب الحديث عن القدر السيئ للفلسطينيين، ليس فقط بسبب اضطهاد الإسرائيليين لهم، ولكن لاستغلالهم من قبل إخوانهم العرب، والرواية الثانية «ما تبقى لكم»، تعرض اهتماماً متزايداً بتقنية السرد، ويتراوح السرد بين سرد الشخص الأول وسرد الشخص الثالث، في حين يوثق برشاقة تداخل أقدار «أبطال» روايته الخمسة:





حامد، ومريم، وزكريا، والوقت، والصحراء⁽⁴⁴⁾. وبغض النظر عن التمكن الواضح للمؤلف من الأسلوب فإن أعمال كنفاني المتأخرة خاصة مجموعة القصص القصيرة المسماة باسم «أم سعد» (1969م)⁽⁴⁵⁾، التي تبدو أحياناً مسطحة وتفتقر إلى الإلهام، مقارنة بكتاباته القصصية الأولى، وبشكل عام فإن كنفاني بجمعه بين التعقيد الفني والتزامه بالقضية الفلسطينية يمثل أحد أنجح المحاولات للتعامل مع القضية الفلسطينية بطريقة ترفعها إلى اهتمام عالمي.

يمكن رؤية كتابة مختلفة إلى حد ما عن التجربة الفلسطينية للمنفى في حياة وأعمال جبرا إبراهيم جبرا (1920م - 1994م). ولد جبرا في بيت لحم، ودرس أولاً في القدس قبل أن يبدأ استكمال دراسته في كامبريدج في إنجلترا وفي الولايات المتحدة. وأعماله اللاحقة تشمل وظائف أكاديمية في القدس وبغداد، وفي مرحلة من المراحل كان موظفاً في وزارة الثقافة والإعلام العراقية. وهو فنان غزير الإنتاج ومتعدد المهارات، يعبر عن نفسه من خلال الرسم ونقد الفن وأيضاً من خلال الكتابة. وتشمل إصدارات جبرا المكتوبة ليس فقط الروايات والقصص القصيرة، ولكن أيضاً مقالات وكتابين: سيرة ذاتية وثلاثة دواوين شعرية، معظمها من الشعر المنشور. وكتاباته مثل كتابات كنفاني موشحة بالتجربة الشخصية للمنفى، ولكن بعكس كنفاني فإن شخصياته الباقية في الذاكرة هي لمثقفين، وعادة من الطبقة الوسطى، نمطياً منعزلين عن المجتمع الذي يعيشون فيه، وتربط أعماله من هذه الناحية بين إصدارات الجيل «الكلاسيكي» للكتاب العرب الحداثيين وإصدارات الجيل الذي برز بعد هزيمة العرب في الحرب مع إسرائيل عام 1967م (سوف نناقش ذلك في الفصل المقبل).

وتضم أعمال جبرا النثرية ليس فقط روايات وقصصاً قصيرة مكتوبة بالعربي، ولكن أيضاً تضم عملاً روائياً كتب بالإنجليزية بعنوان (1960م) Hunters in a Arrow Street ، ورواية «عالم بلا خرائط» (1982م) ، وهو عمل مشترك مع الروائي السعودي عبدالرحمن المنيف⁽⁴⁶⁾. وإذا وضعنا المشهد الأدبي جانباً، يملك الروائيان حصيلة كبيرة من التجربة المشتركة، ليس أقلها تجربة المنفى، والعمل في مواقع مرتبطة بصناعة البترول. وأشهر أعمال جبرا ربما تكون رواية «السفينة»⁽⁴⁷⁾، التي تقع أحداثها في سفينة سياحية يونانية في البحر الأبيض المتوسط. وتشمل شخصيات معقدة، مفكرين في أغلبهم، وتحل علاقاتهم، مع آمالهم وإحباطاتهم خلال رحلة مدتها أسبوع من بيروت إلى أثينا عبر قناة كورنث، ثم مضايق مسينا إلى نابلس. وأسلوب جبرا السردى معقد ومقنع، ويشمل استخدام العودة إلى الوراء مؤقتاً، والسرد المتعدد (قد يكون متأثراً بـ «ميرمار» نجيب محفوظ)، إضافة إلى الاستخدام المفرط للرمزية، وإشارات متعددة إلى أعمال أدبية غربية، تعكس الذوق الفكري النهم للمؤلف. ووصف أحد المعلقين حبكة الرواية بأن لها نوعية المسلسلات التلفازية⁽⁴⁸⁾. وعلى الرغم من أن هذا الوصف فيه بعض الحقيقة بالنسبة إلى التحولات المعقدة في العلاقات بين الرفقاء، ولكنه جزئياً يخدع بالنسبة إلى نبرة العمل الفكرية والانتظام الأسلوبى، الذي يصل في معظم الأحيان إلى مستوى الشعر المنثور. وأضيفت حدة للعمل بالسرد الطويل لمعركة القدس عام 1948م، ووصف منزل القدس الذي يمثل بوضوح منزل عائلة جبرا في مدينته المفقودة.

ومن بين أعمال جبرا المتأخرة يجب علينا أن نذكر بشكل خاص «البحث عن والد مسعود» (1978م). يواصل المؤلف في هذا العمل تجربته الشكلية





للبنية السردية بطريقة تذكر بالتقنية التي استخدمها أحد الرواد المصريين من (جيل الستينيات) صنع الله إبراهيم (1937م) الذي سناقشه في الفصل المقبل. وتحدث رواية «البحث عن والد مسعود» مثل «نجمة أغسطس» لصنع الله إبراهيم عن جزء من نص، يركز على العمل ككل. بالنسبة إلى «البحث عن والد مسعود» فإن العمل يتزود من رسالة مسجلة تركها والد مسعود خلفه في سيارة مهجورة وجدت قرب الحدود العراقية - السورية، والشريط سرد مطابق تقريباً لأسلوب تيار الوعي الذي عرف به جيمس جويس، وهو يساعد بوصفه نقطة تركيز لأصدقائه الذين اجتمعوا ليندبوا موته - ويعكس كل واحد من أصدقائه جانباً من الرجل المختفي.

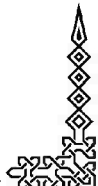
الكتابة العربية الروائية والقصصية في شمال إفريقيا

لم نقل إلا القليل عن المغرب والجزائر وتونس حتى الآن، وفي هذه الدول بقيت الكتابة الروائية والقصصية غير متطورة بشكل واضح مقارنة بأواسط بلاد العرب حتى خمسينيات القرن العشرين على الأقل، وشهدت تونس، وهي أكثر دول المغرب تطوراً في المجال الأدبي، في ثلاثينيات القرن العشرين تأسيس عدد من الدوريات الأدبية مثل «العالم الأدبي»، ولكن بغض النظر عن جهود كُتّاب مثل علي الدعيجي، وذي المزاج المختلف قليلاً محمود السعدي، ولكنه لا يمكن القول: إن الرواية التونسية لم تتضح إلا في خمسينيات القرن العشرين على يدي الروائي وكاتب القصة القصيرة البشير خريف (1917 - 1983م)⁽⁴⁹⁾. ومسيرة خريف العملية مثيرة للاهتمام؛ لأنه بدأ بالنشر مبكراً منذ ثلاثينيات القرن العشرين، ولكن أحبطه معارضة استخدامه للعامية التونسية في حوارات قصصه، ولم يبدأ في الظهور إلا متأخراً في خمسينيات



القرن العشرين مع نشر روايته «إفلاس أو حبك ضربني»، (1958 - 1959م)، وتتحدث الرواية عن النزاع بين التراث والحداثة. وتبع هذه الرواية رواية أخرى تاريخية هي «برقع الليل» (1961م)، وتقع أحداثها في حقبة السيطرة الحفصية على تونس في النصف الأول من القرن السادس عشر، وتدعو القارئ بوضوح إلى إجراء مقارنة بين الغزو الإسباني لعام 1535م والاحتلال الفرنسي لتونس في الزمن المتقدم. والأسلوب يذكر بأسلوب نجيب محفوظ في عمله المبكر «كفاح طيبة» أو بالكاتب الذي جاء بعد ذلك «جمال الغيطاني» في روايته «الزيني بركات»⁽⁵⁰⁾. وأشهر أعمال خريف «الدقلة في عراجينها» (1969م)، التي تقع أحداثها في واحة نفطة في جنوب تونس، حيث ولد المؤلف، وتتحدث عن حياة وحب عائلة تونسية ممتدة بين الأعوام 1910 - 1930م، حيث يصورها المؤلف بتعاطف ولكن ليس بمثالية. وتنقسم إلى فصول، وكل فصل معنون «عرجون»، إذ تصور فروع النخلة فروع العائلة. وعلى الرغم من أن جاذبية العمل كانت محدودة بسبب الاستخدام الكثير للهجة العامية التونسية، لكن الرواية عرفت على نطاق واسع على أنها انتصار للواقعية العربية الحديثة.

وفي الجزائر، وبغض النظر عن اصطخاب النشاط الأدبي في السنوات اللاحقة لنهاية الحرب العالمية الأولى، فإن نمو تقليد أدب متخيل أو روائي قصصي باللغة العربية قيد بازدياد الصراع الدموي، وتعاضم القبضة الفرنسية الظالمة واللغة الفرنسية على الحياة الثقافية للدولة، وبازدياد الصراع الدموي للاستقلال عن القوة الاستعمارية. وكان يسيطر على معظم أدب النثر موضوعات ذات علاقة بحرب التحرير، وبدأ ظهور عدد من الروائيين الذين لهم مكانة دولية، وأشهرهم عبد الحميد بن خدوجة،





وراشد بوجدرة، والطاهر وطار، ولم يحدث ذلك إلا بعد مدة من الاستقلال عن فرنسا عام 1962م. وفي المغرب، وعلى الرغم من الصراع السياسي والعسكري للاستقلال كان أقل حدة منه في الجزائر، لكن التداخل اللغوي بين العربية والفرنسية (والبربرية) بقي أكثر تعقيداً⁽⁵¹⁾. وبغض النظر عن ذلك، يبدو أن تطور أدب النثر العربي في المغرب مر بعملية مماثلة تقريباً لتلك التي في الجزائر، وظهر أول نثر متخيل متردداً في عشرينيات القرن العشرين، وبدأت هذه الخطوات الأولى المترددة تثمر في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، على الرغم من أن التقنيات الروائية خلال هذه المرحلة بقيت محدودة، واحتفظ معظم الكتاب المغاربة الذين يكتبون بالعربية بالنبرة التعليمية إلى حد ما. وليس لأسباب لغوية بحتة عرف المغرب الكتاب المغاربة الفرانكفونيين مثل إدريس غريبي (1926 - 2000م) أكثر من زملائهم الذين يكتبون بالعربية. ففي ستينيات القرن الماضي بدأ عدد من الكتاب العرب بالظهور من الذين يحق لهم التصدي للممارسة الكتابية مثل أقرانهم في شرق العالم العربي، ومن هؤلاء عبد الله العروي (1933)⁽⁵²⁾، ويشتهر بدراساته الفكرية والتاريخية وأعماله الأدبية، ومبارك ربيع (1935 - 2000م) وعبد الكريم غلاب (1917 - 2000م). ومن بين هؤلاء ربما يكون أهمهم هو الاسم الأخير، مقدماً تصويراً نابضاً بالحياة لمدى سيطرة الصراع من أجل الاستقلال على إنتاج كثير من كتاب الأدب الروائي والقصصي في المغرب خلال تلك الحقبة: سبعة أبواب (1965م) تعيد قصص السجناء الذين عذبوا لنشاطهم الوطني، في حين تعكس «دفننا الماضي» (1966م) الازدواجيات الاجتماعية والتوتر تحت الاحتلال الفرنسي من خلال رسمه أفراداً مختلفين لعائلة في فيز.

الخاتمة

واضح أن حديثنا عن الأدب الروائي والقصصي العربي بين، «عودة الروح» لتوفيق الحكيم التي بدأ بها هذا الفصل، وإصدارات مثل «البحث عن والد مسعود» أننا غطينا مساحة كبيرة ليس فقط من ناحية المحتوى الموضوعي وأسلوب السرد، ولكن أيضاً بالنسبة للانتشار الجغرافي للكتابة الروائية والقصصية بأسلوب عربي. وكما لاحظنا، فإن التطورات الأولى كانت محصورة في مصر وبلاد الشام، في حين كتاب المهجر (خاصة جبران خليل جبران) كانوا جسراً بين الأدب المتخيل الروائي والقصصي الغربي المعاصر، والممارسون الأوائل للفن في الشرق الأوسط، مساهمون بأسلوب مميز في تطورات أدب النثر العربي وأيضاً الشعر العربي. وبعد وفاة جبران عام 1931م بدأت كتابات المهجر تفقد نبضها على الأقل في شمال أمريكا، على سبيل المثال، ميخائيل نعيمة، زميل قريب من جبران، عاد إلى موطنه الأصلي لبنان عام 1932م، ولم يظهر أي كاتب في مكانته في أمريكا خلال الجيل اللاحق. وكما رأينا، بقي المؤلفون المصريون مهمين للتطورات خلال هذه الحقبة من أواخر الثلاثينيات، وبدأ ظهور متزايد لروائيين وكتاب قصة قصيرة في أجزاء أخرى من شرق العالم العربي، وتبعهم لاحقاً كتاب بالعربية من بلاد المغرب.

ولأخير، فإن الفائز بجائزة نوبل، نجيب محفوظ، عامل رئيس للتطور السريع والجهري في الرواية العربية خلال هذه الحقبة. وسيطر إنتاج محفوظ على كتابة النثر العربي خلال خمسينيات القرن العشرين وستينياته. وإن أعماله كانت بمنزلة مقياس لتغير الأذواق لمعظم هذه الحقبة. وبحلول ستينيات القرن العشرين كان واضحاً أن المشهد المتفائل بأن مصر الحديثة



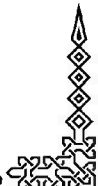


بعد الثورة لم تكن متاغمة مع الزمن نهائياً، وأن الدعوة إلى «التزام» أدبي سياسي لم تعد رنانة في كثير إن لم يكن غالب أرجاء العالم العربي خلال الخمسينيات، ولم تعد نافعة بوصفها صرخة لجمع كتاب «متطورين»، وسوف نناقش المزاج الجديد من التشاؤم الذي عادة يؤرخ له من هزيمة العرب في حرب الأيام الستة عام 1967م، ولكن في الواقع قد بدأ في الظهور قبل ذلك. والمضحك، كما سنرى أن هذا المزاج الجديد لم يوقف تطور الكتابة الإبداعية، بل قاد إلى تفجر من التجريب نجد فيه تأثير النماذج الكلاسيكية، والقرون الوسطى العربية بالمقدار نفسه الذي نستشعر فيه نموذج السرد الطليعي الغربي.



ملاحظات

- 1 - معلومات كاملة عن حياة توفيق الحكيم انظر الفصل العاشر ص 293-306.
- 2 For a more detailed discussion, see Starkey, *From the Ivory Tower*, pp. 84-92.
- 3 - نشر الحكيم أيضا رواية خامسة هي حمار الحكيم (1940) ولكنها أقل فنيًا وليس لها أهمية في السياق الحالي.
- 4 See Starkey, *From the Ivory Tower*, 140-53. The novel has been translated into English by Abba Eban as *The Maze of Justice* (London, 1947; new edn, with foreword by P. H. Newby, London, 1989).
- 5 Translated by M. M. Badawi as *Sara*, Cairo, 1978.
- 6 For a discussion of *Millim al-akbar*, see Kilpatrick, *The Modern Egyptian Novel*, pp. 60-5.
- 7 Kilpatrick, *ibid.*, pp. 65-71.
- 8 - انظر الفصل التاسع ص 281.
- 9 See Trevor LeGassick, introduction to Ihsan 'Abd al-Quddus, *I Am Free and Other Stories*, Cairo, 1978.
- 10 For a discussion of whom, in particular his novel *Shams al-Kharif*, see Sakkut, *The Egyptian Novel and Its Main Trends*, pp. 41-5.
- 11 On al-Sibā'i, see Gail Ramsay, *The Novels of an Egyptian Romanticist: Yūsuf al-Sibā'i*, Edsbruk, 1996.
- 12 Translated into English by Leslie McLoughlin as *Death in Beirut*, London, 1976. The date of publication of this work, after the 1967 catastrophe, places it more properly chronologically in the following chapter.
- 13 - نوقش في الفصل الرابع ص 126-127.
- 14 - كتاب رفاعة الطهطاوي تخليص الإبريز في تلخيص باريس انظر ص 53-54.
- 15 For a discussion, see R. C. Ostle, 'Mahmūd al-Mas'adī and Tunisia's "Lost Generation"', *JAL* 8 (1977), pp. 155-66.
- 16 - انظر ص 122.
- 17 For al-Saḥḥār, see Sakkut, *The Egyptian Novel*, pp. 112-13. As Sakkut notes, al-Saḥḥār's contribution to Egyptian life was more significant as a publisher than as an author in his own right.
- 18 - انظر ص 199.
- 19 - انظر ص 171.
- 20 *Bayn al-Qaṣrayn* (1956), *Qaṣr al-Shawq* (1957) and *al-Sukkariyya* (1957). For details of the extensive secondary literature on Maḥfūz, see the bibliography below, in particular El-Enany, *The Pursuit of Meaning*, London, 1993, which includes a useful 'Guide to Further Reading'.
- 21 Translated into English by P. Stewart as *Children of Gebelawi*, London, 1981.





- 22 Other novels forming part of this sequence include *al-Summān wa-al-kharīf* (1962), *al-Tariq* (1964) and *al-Shahhād* (1965).
- 23 Translated into English by Desmond Stewart as *The Man Who Lost His Shadow*, London, 1980.
- 24 Introduction to *Egyptian Earth*, tr. Desmond Stewart, London, 1992.
- 25 See below, for example, p. 144, for a discussion of Jamāl al-Ghītānī's *al-Zaynī Barakāt*.
- 26 For a discussion, see Kilpatrick, *The Modern Egyptian Novel*, pp. 126–40.

309 - انظر ص

- 28 Yūsuf Idrīs has generally been accounted less successful as a novelist than as a short-story writer and playwright. On Yūsuf Idrīs generally, see Allen, *Critical Perspectives on Yūsuf Idrīs*, Colorado Springs, 1994; D. Cohen-Mor, *Yūsuf Idrīs: Changing Visions*, Potomac, MD, 1992.
- 29 See Allen, *The Arabic Novel*, pp. 82–4, for a discussion.
- 30 *The Man Who Lost His Shadow*, London, 1980.

31 - انظر الفصل المقبل.

- 32 A collection of short stories entitled *The Mountain of Green Tea* has been translated into English by Denys Johnson-Davies, London, 1991.
- 33 Ḥalīm Barakāt was born in Syria but raised in Beirut, where he subsequently worked as a university lecturer before moving to the US in 1976.
- 34 Translated into English by Trevor LeGassick as *Days of Dust*, Wilmette, Illinois, 1974. For a discussion, see Allen, *The Arabic Novel*, pp. 114–20.
- 35 Ibid., p. 120.
- 36 English version, as *Fragments of Memory*, tr. L. Kenny and O. Kenny, Austin, 1993.
- 37 For whom, see above, Chapters 4 and 5, pp. 76–7, 91.
- 38 The latter has been translated into English by Denys Johnson-Davies as 'Spaceship of tenderness to the moon', in *Modern Arabic Short Stories*, London, 1976, 126–34.
- 39 Sometimes transliterated as al-Tikirlī.
- 40 Sometimes described (less accurately, in my view) as a short story collection. See, for example, EAL, II, 755, s.v. An expanded edition of the work was later published in 1982.
- 41 See Wiebke Walther, 'Distant Echoes of Love in the Narrative Work of Fu'ād al-Tikirlī', in Allen, Kilpatrick and de Moor (eds), *Love and Sexuality in Modern Arabic Literature*, pp. 131–9.
- 42 English translation as *Men in the Sun* by Hilary Kilpatrick, Washington, DC, 1985.
- 43 English translation as *All That's Left to You* by Mayy Jayyusi and Jeremy Reed, Austin, Texas, 1990.
- 44 See *al-Āthār al-kāmila*, Beirut, 1972, I, p. 159. For a discussion of the novel, see Allen, *The Arabic Novel*, pp. 108–14.
- 45 Translated as *Palestine's Children* by Barbara Harlow, Washington, DC, 1985.

46 - الفصل المقبل ص 255-256

- 47 English translation, as *The Ship*, by A. Haydar and R. Allen, Washington, DC, 1983; for a discussion of the work, see Allen, *The Arabic Novel*, pp. 138–44.
- 48 Stefan Meyer, *The Experimental Arabic Novel*, p. 37.

- 49 For general accounts of Tunisian literature, see J. Fontaine, *La littérature tunisienne contemporaine*, Paris, 1991; also, S. Pantuček, *Tunesische Literaturgeschichte*, Wiesbaden, 1974.

50 - الفصل المقبل ص 239-240.

- 51 On this, see J. Kaye and A. Zoubir, *The Ambiguous Compromise*, London, 1990.
52 Also spelled al-'Irwi, French spelling Laroui.

